سلسلة لباب التربية ⑨
هدي السلف الصالح في التربية
وسائل عملية

# أول المحاسبة

تأليف

د. طالب بن عمر بن حمدة الكثيري

بسم الله الرحمن الرحيم

# كيف كان السَّلف يتفقَّدون قلوبهم(١)؟

**خطر الغفلة عنه:**

- قال ابن حجرٍ الهيتمي: « وأمَّا كبائر الباطن، فيجب علىٰ المكلَّف معرفتها؛ ليعالج زوالها؛ لأنَّ من كان في قلبه مرضٌ منها، لم يلق الله - والعياذ بالله - بقلبٍ سليمٍ، ومن الأمراض التي تعتوره وتعتريه الكفر - والعياذ بالله -، والنِّفاق، والكبر، والفخر، والخُيَلاء، والحسد... وأمثال هذه يُذَمُّ العبد عليها أعظم مما يذم علىٰ الزِّنا، والسَّرقة، وشرب الخمر، ونحوها من كبائر البدن »، الزَّواجر عن اقتراف الكبائر، (١/ ١٤٨).

**معرفتهم بمواضع الدَّاء:**

**أ- معرفة أعراضه:**

- **عبادةٌ ليس لها أثرٌ علىٰ القلب:**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "تعوَّذوا بالله من خشوع النِّفاق"، قيل: وما هو؟ قال: "أنْ يُرىٰ الجسد به خاشعًا، والقلب ليس بخاشعٍ"، الزُّهد لنُعَيم بن حمادٍ (١/ ٤٦).

- **الوحشة من الخلوة بالله:**

قال إبراهيم الأشعث: سمعت الفضيل يقول: "من استوحش من الوحدة، واستأنس بالنَّاس لم يسلم من الرِّياء"، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٣٦).

- **العُجُب بالنَّفس وحبُّ الترأُّس والشُّهرة:**

قال القرطبيُّ: « إعجاب المرء بنفسه، هو ملاحظته لها بعين الكمال، مع نسيان نعمة الله، فإنِ احتقر غيره مع ذلك، فهو الكبر المذموم »، فتح الباري (١٠/ ٢٦١)، وقال فضيل بن عياض: « ما من أحدٍ أحبَّ

---

(١) راجع للاستفادة: رسالة قانون السَّلف، للمؤلف، وأصلها مستفادٌ من رسالة: فقه النُّفوس، للشَّيخ يحيىٰ اليحيىٰ.

الرئاسة إلا حسد، وبغىٰ، وتتبَّع عيوب النَّاس، وكره أنْ يذكر أحدٌ بخيرٍ »، جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١)، وقال ابن تيمية: « يجتذبه الشَّرف والرِّياسة، فترضيه الكلمة، وتغضبه الكلمة، ويستعبده من يُثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمُّه ولو بالحقِّ »، مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، (١٦/ ٣٤٦).

**ب- معرفة أسبابه :**

- **الانكباب علىٰ الدُّنيا:**

وقف رجلٌ علىٰ إبراهيم بن أدهم، فقال: يا أبا إسحاق، لم حُجِبت القلوب عن الله ؟ قال: « لأنَّها أحبَّت ما أبغض الله، أحبَّت الدُّنيا، ومالت إلىٰ دار الغرور، واللَّهو واللَّعب، وترك العمل لدارٍ، فيها حياة الأبد »، الزُّهد الكبير للبيهقيِّ (١/ ٢٧٦).

- **الثَّناء علىٰ النَّفس:**

قيل لرياح القيسيِّ: ما الذي يُفسِد علىٰ العمَّال أعمالهم ؟ فقال: « حمد النَّفس، ونسيان النِّعم »، الرِّعاية لحقوق الله ص(٤٢٩)، وقال خالد بن صفوان: « إنَّ أقوامًا غرَّهم سِترُ الله، وفتنهم حسن الثَّناء، فلا يغلبَنَّ جهلُ غيرِك بك، علْمَكَ بنفسك »، حلية الأولياء (٨/ ١٨).

**تربية السَّلف لأنفسهم :**

**أ- حديثهم مع أنفسهم :**

- **حديثٌ عن إرادة وجه الله:**

قال يحيىٰ بن معاذ: « النُّسُك هو العناية بالسَّرائر، وإخراج ما سوىٰ الله من القلب »، ذُم الهوىٰ، لابن الجوزي، ص(٧٧)، وقال الحسن البصريُّ في قوله: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [سورة القيامة:٢]، قال: « إنَّ المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه يقول: ما أردت بكلمتي، يقول: ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي، فلا تراه إلا يعاتبها، وإنَّ الفاجر يمضي قُدُمًا فلا يعاتب نفسه »، الزُّهد للإمام أحمد، ص(٢٢٨).

- **حديثٌ عن ذمِّ النَّفس:**

قال ابن رجبٍ: « إنَّ احتقار النَّفس، والإزراء عليها، ومقتها في ذات الله، يقطع من المسافات إلىٰ الله ما لا يقطعه صيام الهواجر، ولا قيام اللَّيالي »، جامع العلوم والحكم، (٢/ ٩١).

حمل عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قربةً علىٰ عنقه، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، ما حملك علىٰ هذا؟ قال: « إنَّ نفسي أعجبتني، فأردت أنْ أُذِلَّها »، المجالسة للدِّينوري، (٣/ ٣٥٠).

**ب- هديهم في إصلاح أنفسهم:**

- **الإكثار من الذِّكر والتَّدبُّر:**

قال أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « لكلِّ شيءٍ جِلاءٌ، وإنَّ جلاء القلوب ذكر الله »، شُعَب الإيمان، (٢/ ٦٣).

- **الاهتمام بالحقائق القلبيَّة:**

قال ابن رجبٍ: « فأفضل النَّاس من سلك طريق النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وخواصَّ أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنيَّة، والاجتهاد في الأحوال القلبيَّة، فإنَّ سفر الآخرة، يقطع بسير القلوب، لا بسير الأبدان »، المحجَّة في سير الدُّلْجة ص(٥٦).

- **الحذر من المعاصي وأكل الحرام:**

قال الحسن البصريُّ: « إذا أردت صلاح قلبك، فاستعن عليه بحفظ جوارحك »، البداية والنِّهاية، (١٠/ ٣٥٠).

قال عمر بن صالحٍ: « سألتُ أبا عبد الله، يعني الإمام أحمد: بم تلين القلوب؟ فأبصر إليَّ، ثم أبصر إليَّ، ثم أطرق إليَّ ساعةً، فقال: بأيِّ شيء؟ بأكل الحلال »، طبقات الحنابلة، (١/ ٢١٩).

- **تعلُّم أخلاق السَّلف:**

قال ابن الجوزيِّ: « رأيت الاشتغال بالفقه، وسماع الحديث، لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أنْ يُمزَج بالرَّقائق، والنَّظر في سير السَّلف الصَّالحين »، صيد الخاطر، ص(٢٢٨).

- **الإكثار من الدُّعاء:**

ذكر ابن عبد البرِّ أنَّه لما التقىٰ هَرِم بن حيَّان، بأويسٍ القرنيِّ، كان فيما أوصاه ووعظه به أنْ قال: « يا هَرِم، ادع الله أنْ يصلح لك قلبك، ونيَّتك؛ فإنَّك لم تعالج شيئًا، هو أشدُّ عليك منهما، بينما قلبك مقبلٌ، إذ أدبر، فاغتنم إقباله قبل إدباره »، بهجة المجالس، (٣/ ٢٥٠).

**علامات السَّلامة عندهم:**

- **أنْ يغلي قلبه بأعمال البرِّ:**

عن مالك بن دينارٍ قال: « إنَّ صدور المؤمنين تغلي بأعمال البرِّ، وإنَّ صدور الفجَّار تغلي بأعمال الفجور، والله تعالىٰ يرىٰ همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله »، الزُّهد لأحمد بن حنبل، ص(٤٥١).

- **ألا يحبَّ أنْ يطَّلع علىٰ حسناته أحدٌ:**

قال الحارث المحاسبيُّ: « الصَّادق هو الذي لا يبالي، لو خرج كلُّ قَدْرِ له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحبُّ اطِّلاع النَّاس علىٰ مثاقيل الذَّرِّ من حَسَن عمله »، مدارج السَّالكين، (٢/ ٢٦٦).

- **بل لا يرىٰ أعماله شيئًا:**

قال الإمام الشَّافعي: « أرفع النَّاس قدرًا من لا يرىٰ قَدَرَه »، المجموع شرح المهذَّب، (١،١٣).

- **ويستقيم لسانه:**

قال الحسن البصريُّ: « لا تستقيم أمانة رجلٍ، حتَّىٰ يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه، حتىٰ يستقيم قلبه »، بهجة المجالس، (٢/ ٥٧٦).

- **ويثبت عند الفتن:**

قال سعيد بن جبيرٍ: قال لي راهبٌ: « يا سعيد، في الفتنة يتبيَّن لك من يعبد الله ممن يعبد الطَّاغوت »، الإبانة، (٢/ ٥٩٩).

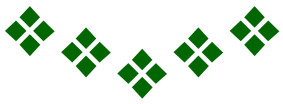

## كيف كان السَّلف يتَّقون الذُّنوب ؟

**خطر الغفلة عنه :**

- قال الحسن البصريِّ: « من أعظم المصائب للرجل، أنْ يعلم من نفسه تقصيرًا، ثم لا يبالي، ولا يحزن عليه »، شُعَب الإيمان، (٢/ ٢٧١)، قال وهيب بن الورد: « إنَّ من صلاح نفسي، معرفتي بفسادها، وكفىٰ بالمرء شرًّا، أنْ يعرف من نفسه فسادًا، ثم يُقِيم عليه »، المجالسة للدَّينوريِّ، (٥/ ١٤٦).
- **وقد تُؤَدِّي للهلاك:** قال ابن القيِّم: « الذُّنوب جراحاتٌ، ورُبَّ جرح وقع في مقتلٍ »، الفوائد ص(٥٤).

**معرفتهم بمواضع الدَّاء :**

**أ- معرفة أعراضه :**

- **فقدان حلاوة العبادة:**

قال يحيىٰ بن معاذٍ: « سقم الجسد بالأوجاع، وسقم القلوب بالذُّنوب، فكما لا يجد الجسد لذَّة الطَّعام عند سقمه، فكذلك القلب، لا يجد حلاوة العبادة مع الذُّنوب »، ذمُّ الهوىٰ ص(٦٨)، وقال ابن المبارك: قيل لوهيبٍ: يجد طعم العبادة من يعصي؟ قال: « ولا من يُهمُّ بالمعصية »، سير أعلام النُّبلاء، (٧/ ١٩٩).

- **عدم التَّوفيق:**

قال الحسن البصريِّ: « إذا رأيت في ولدك ما تكره، فاستعتب ربَّك، وتب إليه؛ فإنما ذلك شيءٌ، أُرِدت به أنت »، آداب الحسن البصريِّ ومناقبه، (١/ ٥٩).

- **الاشتغال بعيوب النَّاس عن عيوب نفسه:**

قال السّريُّ السَّقْطي: « من علامة الاستدراج للعبد عَمَاه عن عيبه، واطِّلاعُه علىٰ عيوب النَّاس »، حلية الأولياء، (١٠/ ١٢٤)، وقال الحسن البصريِّ: « من علامة إعراض الله عن العبد أنْ يجعل شغله فيما لا يعنيه »، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، (١/ ٧١).

- **الشُّعور بالذُّل في القلب:**

قال الحسن البصريُّ: « لا يغُرَّك تَوَطِّيهم رقاب المسلمين، وإنْ هَمْلجت بهم خيولهم، ورفرفت بهم ركابهم، إنَّ ذُلَّ المعصية في قلوبهم، أبىٰ الله إلا أنْ يُذِلّ مَن عصاه »، بهجة المجالس، (١/ ٣٩٤).

- **الوقوع في السَّيِّئة بعد السَّيِّئة، والشُّعور بعدم القدرة علىٰ الانفكاك منه:**

قال عروة بن الزُّبير بن العوَّام: « إذا رأيت الرَّجل يعمل السَّيِّئة ،فاعلم أنَّ لها عنده أخواتٌ، وإذا رأيته يعمل الحسنة، فاعلم أنَّ لها عنده أخواتٌ »، تهذيب التَّهذيب، (٧/ ١٨٣)، وقال ابن القيِّم: « ليعلم اللَّبيب أنَّ مُدمِني الشَّهوات يصيرون إلىٰ حالةٍ لا يلتذُّون بها، وهم مع ذلك، لا يستطيعون تركها؛ لأنَّها قد صارت عندهم بمنزلة العيش الذي لا بدَّ لهم منه »، روضة المحبِّين ص(٤٧٠).

**ب- معرفة أسبابه :**

- **أكل الحرام:**

قال سهل التّستَريُّ: « من أكل الحرام، عصت جوارحه، شاء أم أبىٰ، عَلِم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالاً، أطاعته جوارحه، ووفِّقت للخيرات »، إحياء علوم الدِّين، (٢/ ٩١)، وقال الحسن: « إذا أردت أنْ تعلم من أين أصاب الرَّجل ماله، فانظر فيم أنفقه؛ فإنَّ الخبيث يُنفَق في السَّرف »، بهجة المجالس، (١/ ١٩٥).

- **عدم تعظيم الله** جَلَّ وَعَلَا:

قال ابن القيِّم: « من كمُلَت عظمة الحق تعالىٰ في قلبه، عظُمت عنده مخالفتُه »، مدارج السَّالكين، (١/ ١٦٤).

- **الهوان علىٰ الله:**

كان الحسن البصريُّ إذا ذكَر أهلَ المعاصي يقول: « هانوا عليه فعصَوْه، ولو عزُّوا عليه لعصمَهُم »، ذمُّ الهوىٰ ص(١٨٤).

## تربية السَّلف لأنفسهم:

### أ- حديثهم مع أنفسهم:

- **يستحضرون ذنوبهم:**

قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « إنَّ المؤمن يرىٰ ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبلٍ، يخاف أنْ يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرىٰ ذنوبه كذبابٍ مرَّ علىٰ أنفه، فقال به هكذا، قال أبو شهابٍ بيده فوق أنفه »، أخرجه البخاريُّ، قال مُوَرِّق العِجْلِيِّ: « ما وجدت للمؤمن مثلا، إلا رجلٌ في البحر علىٰ خشبةٍ، فهو يدعو :يا ربِّ يا ربِّ، لعلَّ الله أنْ ينجيَّه »، الزُّهد للإمام أحمد، ص(٢٤٧).

- **يفكِّر في عواقبها:**

قال ابن مهديٍّ: «بات سفيان عندي، فجعل يبكي، فقيل له، فقال: « لَذنوبي عندي أهون من ذا -ورفع شيئا من الأرض- إنِّي أخاف أنْ أُسلَب الإيمانَ قبل أنْ أموت »، تاريخ بغداد للخطيب، (٩/ ٢٣٩).

- **التَّدقيق في محاسبة النَّفس:**

قال عمر بن عبد العزيز: « لا يكونَنَّ شيْء أهمَّ إليك من نفسك؛ فإنَّه لا قليل من الإثم »، تاريخ الطَّبريِّ، (٦/ ٥٦٩)، قال ابن الجوزيُّ واصفًا شيخه عبد الوهَّاب الأنماطيَّ: « كان علىٰ قانون السَّلف، لم يُسمع في مجلسه غيبةٌ »، صيد الخاطر ص(١٧٣).

### ب- هديهم في إصلاح أنفسهم:

- **ترك الذُّنوب والحذر من الاقتراب منها:**

قال سفيان الثَّوريُّ في وصيَّته لأحد إخوانه: « وترك الذَّنب، أيسر من طلب التَّوبة، ولا تتهاون بالذَّنب الصغير، ولكنِ انظر مَن عصيت »، الحلية، (٧/ ٢٤).

قال الحسن البصريُّ: « ما ضربت ببصري، ولا نطقت بلساني، ولا بطشت بيدي، ولا نهضت علىٰ قدمي، حتَّىٰ أنظر علىٰ طاعةٍ، أو علىٰ معصيةٍ؟ فإنْ كانت طاعةٍ، تقدمت، وإنْ كانت معصيةٍ تأخَّرت »، جامع العلوم والحكم، (١/ ٢١٣).

- **الإقلاع عنه، وعدم العودة إليه:**

عن الرَّبيع بن خُثَيم أنَّه كان يقول: « السَّرائر السَّرائر اللاتي يخفَين علىٰ النَّاس، وهنَّ عند الله بَوادٍ، ويقول: التمسوا دواءهن، ثم يقول: وما دواؤهن؟ أنْ تتوب ثم لا تعود »، الزُّهد للإمام أحمد، ص(٤٦٦).

قال ابن وهبٍ: « نذرتُ أنِّي كلَّما اغتبتُ إنسانًا، أنْ أصوم يومًا، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت كلَّما اغتبت إنسانًا، أنْ أتصدَّق بدرهمٍ، فمن حُبِّ الدَّراهم تركت الغيبة »، قال الذَّهبي: قلت: هكذا -والله- كان العلماء، وهذا هو ثمرة العلم النَّافع، سير أعلام النُّبلاء، (٩/ ٢٢٨).

- **قهر الهوىٰ والانتصار علىٰ الشَّيطان:**

قال ابن الجوزيِّ: « في قوَّة قهر الهوىٰ لذَّةٌ تزيد علىٰ كلِّ لذةٍ »، صيد الخاطر ص(٥٨)، قال ابن القيِّم: « دافع الخطرة، فإنْ لم تفعل، صارت فكرةً، فدافع الفكرة، فإنْ لم تفعل، صارت شهوةً، فحاربها، فإنْ لم تفعل صارت عزيمةً وهمَّةً، فإنْ لم تدافعها، صارت فعلاً، فإنْ لم تتداركه بضدِّه صار عادةً، فيصعب عليك الانتقال عنها »، الفوائد ص(٣١).

- **الصَّاحب المذكِّر ومجالس الذِّكرىٰ:**

قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحمٍ: « إنَّ الولاة جعلوا العيون علىٰ العوامِّ، وأنا أجعلك عيني علىٰ نفسي، فإنْ سمعت مني كلمةً تربأ بي عنها، أو فعلاً لا تحبُّه فعظني عنده، وانهني عنه »، عيون الأخبار لابن قتيبة، (٢/ ١٨)، قال ابن تيمية: « المؤمن للمؤمن، كاليدين تغسل إحداهما الأخرىٰ، وقد لا ينقطع الوسخ إلا بنوعٍ من الخشونة، لكنَّ ذلك يوجب من النَّظافة والنُّعومة ما نحمد معه ذلك التَّخشين »، مجموع الفتاوىٰ،(٢٨/ ٥٣).

## علامات السَّلامة عندهم:

- **الإكثار من الاستغفار:**

قال عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « ما ألهم الله سبحانه عبدًا الاستغفار، وهو يريد أنْ يعذِّبه »، إحياء علوم الدِّين، (١/ ٣١٣)، قال رُفيع أبو العالية: « إنِّي لأرجو أنْ لا يهلك عبدٌ بين اثنتين: نعمةٍ يحمد الله عليها، وذنبٍ يستغفر منه »، الشُّكر لابن أبي الدُّنيا ص(٣٢).

- **عدم الأمن من عقوبة الذَّنب:**

قال أبو عثمان الجيزيُّ: « من علامة السَّعادة، أنْ تطيع، وتخاف ألا تُقبل، ومن علامة الشَّقاء، أنْ تعصي، وترجو أنْ تنجو »، فتح الباري، (١١/ ٣٠١).

- **تجنُّب الشُّبهات:**

قال الحسن: « ما زالت التَّقوىٰ بالمتَّقين حتَّىٰ تركوا كثيرًا من الحلال؛ مخافة الحرام »، جامع العلوم والحكم ص(٤٠١)، وسُئِل ابن شهابٍ عن الزُّهد في الدُّنيا، فقال: « الزُّهد ألا يغلب الحرام صبرك، ولا الحلال شكرك »، بهجة المجالس، (٣/ ٣٠٢).

## كيف كان السَّلف يجتهدون في العمل مع الله ؟

**خطر الغفلة عنه :**

- سُئِل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما المنافق ؟ قال: « الذي يصف الإسلام، ولا يعمل به »، الزُّهد لوكيعٍ ص(٧٨٦).

**معرفتهم بمواضع الدَّاء :**

**أ- معرفة أعراضه :**

- **كثرة الكلام وقلَّة العمل:**

قال الفضيل بن عياضٍ: « المؤمن قليل الكلام <كثير العمل، والمنافق كثير الكلام، قليل العمل »، الحلية، (٨/ ٩٨)، ويقول ابن القيِّم: « زرع النِّفاق ينبت علىٰ ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرِّياء، ومخرجهما من عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة، فإذا تمَّت هذه الأركان الأربع، استحكم نبات النِّفاق وبنيانه »، المدارج، (١/ ٣٦٥).

- **الانتكاسات وترك الصَّالحات:**

قال الرَّبيع بن خُثَيم: « كلُّ ما لا يراد به وجهُ الله يضمحلُّ »، طبقات ابن سعدٍ، (٦/ ١٨٦).

**ب- معرفة أسبابه :**

- **ضعف الإخلاص:**

قال ابن الجوزيِّ: « والصِّدق في الطَّلب منارٌ، أين وُجِد يدلُّ علىٰ الجادَّة، وإنما يتعثَّر من لم يُخلِص »، صيد الخاطر ص(٣٥٥).

- **كثرة الذُّنوب:**

قال الحسن البصريِّ: « إنَّ الرجل ليُذنِب الذَّنب فيُحرَم به قيامُ اللَّيل »، المجالسة، (٣/ ٣٤١).

**تربية السَّلف لأنفسهم:**

**أ- حديثهم مع أنفسهم:**

- **يحدِّثونها عن الموت:**

قال حامد اللفَّاف: « من أكثر ذكر الموت، أُكرم بثلاثةٍ: تعجيل التَّوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة »، تنبيه الغافلين لأبي اللَّيث السَّمَرْقَنْدِيِّ ص(٤١)، وعن أبي الحسن المجُاشعيِّ قال: قيل لعامر بن عبد قيسٍ: أتحدث نفسك في الصَّلاة ؟ قال: « أُحدِّثها بالوقوف بين يدي الله ومنصرفي »، سير أعلام النُّبلاء، (٤/ ١٧).

- **يحدِّثونها عن الأعمال الصَّالحة:**

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبلٍ: قلت لأبي يومًا: أوصني، فقال: « يا بُنيَّ، انوِ الخير، فإنَّك لا تزال بخيرٍ، ما نويت الخير »، الآداب الشَّرعيَّة، (١/ ١٠٤).

- **يحدِّثونها عن عظمة الله، وهل أعمالهم لله ؟:**

قال محمد بن علي التِّرمذيُّ: « اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمُه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه »، حلية الأولياء، (١٣/ ٢٣٥).

قال أبو القاسم الجُنَيد: « لا يكون العبد عبدًا، حتَّىٰ يكون مما سِوىٰ الله تعالىٰ حُرًّا »، مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية، (١٠/ ٥٩٨)، وقيل لسُفيان الثَّوريِّ: ما العمل الصالح؟ قال: « ما لا تُحِبُّ أنْ يحمدك عليه أحدٌ »، بهجة المجالس، (٣/ ٣٤٤)، وقال الحسن البصريُّ: « أيسر النَّاس حسابًا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله في الدُّنيا، فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإنْ كان لله، عملوا، وإنْ كان عليهم، أمسكوا، وإنَّما يثقل الحساب علىٰ الذين أهملوا الأمور، فوجدوا الله قد أحصىٰ عليهم مثاقيل الذَّر »، الورع للإمام أحمد ص(٢٠).

وقال ابن رجب: « اعبد الله لمراده منك، لا لمرادك منه، فمن عبده لمراده منه، فهو ممَّن يعبد الله علىٰ حرفٍ، إنْ أصابه خيرٌ، اطمأنَّ به، وإنْ أصابته فتنةٌ، انقلب علىٰ وجهه، خسر الدُّنيا والآخرة، ومتىٰ قوِيَت المعرفة والمحبَّة، لم يرد صاحبها إلا ما يريد مولاه »، كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، ص(٣٥).

- **ويحدِّثون أنفسهم بالافتقار إلىٰ الله:**

قال ابن القيِّم: « دواء الرِّياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودواء الكبرياء بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ودواء الضَّلال بـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾، فإذا عوفي المؤمن من مرض الرياء، ومن مرض الكبرياء، ومن مرض الضَّلال، عوفي من أمراضه وأسقامه، وكان من المُنْعَم عليهم... ولا يتأتَّىٰ هذا الانتفاع إلا لمن تدبَّر »، مدراج السَّالكين، (١/ ٧٨)، وقال ابن الجوزيِّ: « إذا جلست في ظلام اللَّيل، بين يدي سيِّدك، فاستعمل أخلاق الأطفال؛ فإنَّ الطِّفل إذا طلب من أبيه شيئًا، فلم يعطه، بكىٰ عليه »، المدهش، ص(٢١٩).

**ب- هديهم في إصلاح أنفسهم:**

- **الاجتهاد في زمن إقبال القلب علىٰ الخير:**

قال الحسن: « إنَّ القلوب تموت، وتحيا، فإذا هي ماتت، فاحملوها علىٰ الفرائض، فإذا هي أُحْيِيَتْ فأدِّبوها بالتَّطوُّع »، الزُّهد لأحمد بن حنبلٍ ص(٢١٦).

- **الحرص علىٰ حضور القلب وتأثُّره:**

قال ابن تيمية: « الأعمال ثوابها ليس لمجرَّد صورِها الظَّاهرة، بل لحقائقها التي في القلوب، والنَّاس يتفاضلون في ذلك تفاضلاً عظيمًا »، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة، (٦/ ٢٢٦).

وقال ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: « اطلب قلبك في ثلاثة مواطنَ: عند سماع القرآن الكريم، وفي مجالس الذِّكر، وفي أوقات الخلوة؛ فإنْ لم تجده في هذه المواطن فسل الله أنْ يمنَّ عليك بقلبٍ »، الفوائد لابن القيِّم ص(١٤٨).

وقال ابن المنكدر: « كابدتُ نفسي أربعين سنةً حتَّىٰ استقامت »، سير أعلام النُّبلاء، (٥/ ٣٥٥).

- **الاجتهاد في إخفاء العمل:**

قال محمَّدُ بن واسعٍ: « لقد أدركتُ رجالاً، كان الرَّجل يكون رأسُه ورأسُ امرأته علىٰ وسادٍ واحدٍ، قد بلَّ ما تحت خدِّه من دموعه، لا تشعر به امرأته، والله لقد أدركتُ رجالاً، كان أحدهم يقوم في الصَّف، فتسيل دموعه علىٰ خدِّه، لا يشعر الذي إلىٰ جنبه »، الإخلاص والنِّيَّة لابن أبي الدُّنيا، ص(٦١).

- **ضبط اللِّسان:**

قال يونس بن عبيدٍ: « ما من النَّاس أحدٌ، يكون منه لسانه علىٰ بالٍ، إلا رأيت صلاحَ ذلك في سائر عمله »، الصَّمت لابن أبي الدُّنيا، ص(٧٠)، وقال يونس بن عبيدٍ: « يُعرَف ورعُ الرَّجل في كلامه إذا تكلَّم »، حلية الأولياء، (٣/ ٢٠).

**علامات السَّلامة عندهم:**

- **الثَّبات علىٰ فعل الحسنات:**

قال سعيد بن جبيرٍ: « إنَّ من ثواب الحسنةِ الحسنة بعدها، وإنَّ من عقوبة السَّيِّئةِ السَّيِّئة بعدها »، مجموع فتاوىٰ لابن تيمية، (١٠/ ١١).

وعن المِسْوَر بن مَخْرَمة أنَّ عمر لما أُصِيبَ، جعل يُغمَىٰ عليه، فقالوا: إنَّكم لن تُفزِعوه بشيءٍ مثل الصَّلاة إنْ كانت به حياةٌ، فقالوا: الصَّلاة يا أميرَ المؤمنين، قد صُلِّيت، قال: فانتبه، فقال: الصَّلاة ها الله إذًا، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصَّلاة، قال: فصلَّىٰ وإنَّ جرحه ليَثْعُبُ دمًا، الإبانة، (٢/ ٦٧١).

عن سليمان بن المُغِيرَة قال: سمعت ثابتًا البُنَانِيَّ، يقول: « لا يُسَمَّىٰ عابدٌ أبدًا عابدًا، وإنْ كان فيه كلُّ خصلة خيرٍ، حتَّىٰ تكون فيه هاتان الخصلتان: الصَّوم والصَّلاة؛ لأنَّهما من لحمه ودمه »، حلية الأولياء، (٢/ ٣١٩).

- **أنْ تسلم له صلاته، فهي شوكة الميزان:**

قال ابن القيِّم: « للعبد بين يدي الله موقفان: موقفٌ بين يديه في الصَّلاة، وموقفٌ بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحقِّ الموقف الأوَّل هُوِّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يُوَفِّه حقَّه شُدِّد عليه ذلك الموقف »، الفوائد ص(٢٠٠).

- **المحبَّة في قلوب المؤمنين:**

قال هرِم بن حيَّانٍ: « ما أقبل عبدٌ بقلبه إلىٰ الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه؛ حتَّىٰ يرزقه مودَّتهم ورحمتهم »، الزُّهد للإمام أحمد ص(١٨٨).

وعن عون بن عبد الله بن عتبة قال: « كان أهل الخير يكتب بعضهم إلىٰ بعضٍ، بهؤلاء الكلمات، وتلقَّاهنَّ بعضهم بعضًا: من عمل لآخرته، كفاه الله دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين النَّاس، ومن أصلح سريرته، أصلح الله علانيته »، الزُّهد لوكيعٍ ص(٨٤٨).

- **خوف عدم القبول:**

قال ابن القيِّم: « إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا، سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نَصْبَ عينيه حتىٰ يدخل الجنَّة؛ فإنَّ ما تُقُبِّلَ من الأعمال، رُفِعَ من القلب رؤيتُه، ومن اللِّسان ذكرُه »، طريق الهجرتين، ص(٢٧٧).

# فهرس الكتاب

كيف كان السَّلف يتفقَّدون قلوبهم؟.....٣
كيف كان السَّلف يتَّقون الذُّنوب ؟.....٧
كيف كان السَّلف يجتهدون في العمل مع الله؟.....١٢
فهرس الكتاب.....١٦